

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بك ألوذ

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ...»

اللقاء التاسع

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى مسلم في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

☐ هذا الحديث من الدعوات العظيمة الجامعة التي كان يدعو بها رسول الله - ﷺ -، وهو من جملة تعوداته صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيْهِ.

وهو باب الاستعاذة بابٌ عظيمٌ وواسعٌ من أبواب الدعاء، وقد أفرده بعض العلماء بالتصنيف لسعته، ومنهم من خصّه بكتبٍ خاصة في المصنفات الجامعة، وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنواعٌ كثيرة من التعودات يحسن بالمسلم أن يقف عليها وأن يتعلمها، لتكون من جملة تعوداته والتجاءاته واعتصامه بالله - ﷻ -.

قوله: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ)**؛ أي: ذهابها وسلبها، والنعمة هنا مفرد مضاف فتعم كقوله تعالى: **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}** [النحل:18]، وقوله: **{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** [النحل:53] .

كأي يا الله إني ألتجئ إليك من ذهاب جميع نعمك الظاهرة والباطنة، الدنيوية والأخروية ما علمتها، وما لم أعلمها؛ لأن نعمك لا تُحصى، ولا تُعدُّ (استعاذ النبي - ﷺ - من زوال نعمته؛ لأن ذلك لا يكون إلا عند عدم شكرها) ، فتضمّنت هذه الاستعاذة المباركة التوفيق لشكر النعم، والحفظ من الوقوع في المعاصي؛ لأنها تزيل النعم، قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11] .  
وقال جلّ شأنه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:30] .

قوله: **(وَتَحَوَّلَ عَافِيَتِكَ)**؛ أي: تحولها عن العبد وانتقالها، والعافية خير ما أُعطيهِ العبد، وفي الدعوة العظيمة التي علّمها النبي - ﷺ - عمه العباس رضي الله عنه قال: **((يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ))**، فالعافية نعمة عظيمة ومنة كبيرة وهي إنما تتحول عن العبد بسبب ذنوبه وخطاياها.

● العافية: السلامة من البلاء في الدين والدنيا، والصحة، ودفع المكروه.

□ لأن العافية تجمع: سلامة البدن من الأمراض. وسلامة القلب من الشبهات.

وسلامة الدين من الفتن. وسلامة الحياة من البلى

كأي أعوذ بك يا الله من تبدل العافية التي أعطيتني إياها، وهي السلامة من الأسقام والبلاء والمصائب، إلى الأمراض والبلاء، فتضمنت أيضاً هذه الاستعادة سؤال الله دوام العافية وثباتها، والاستعادة به عز وجل من تحوّل العافية؛ لأن بزوالها تسوء عيشة العبد، فلا يستطيع القيام بأمور دنياه ودينه، وما قد يصاحبه من التسخط وعدم الرضا وغير ذلك.

**قوله: (وَفَجَاءَ نِقْمَتِكَ)؛** النعمة: الانتقام، والفجاءة: هو أن يأتي الانتقام فجأة ويغت

الإنسان دون مقدمات، بسبب إجرامه وآثامه، وتعدد خطايا وعصيانه.

كأي أعوذ بك من العقوبة، والانتقام بالعذاب مباغته، دون توقع وتحسب، وحُصّ فجاءت النعمة بالاستعادة؛ لأنها أشد وأصعب من أن تأتي تدريجياً، بحيث لا تكون فرصة للتوبة.

**قوله: (وَجَمِيعَ سَخَطِكَ)؛** أي أن أفعل أو ارتكب ما يسخطك، ويكون سبباً لحلول

عقوبتك وتحوّل عافيتك وفجاءة نقمتك.

كأي ألتجئ وأعتصم إليك أن تعيذني من جميع الأسباب الموجبة لسخطك جلّ

شأنك؛ فإنّ من سخطت عليه فقد خاب وخسر، ولو كان في أدنى شيء، وبأيسر

سبب؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم **(وجميع سخطك)**، فهي استعادة من جميع

أسباب السخط من الأقوال والأفعال والأعمال، (وإذا انتفت الأسباب المقتضية للسخط حصلت أضرارها وهو الرضى)

ومردُّ هذه الدعوة العظيمة الجامعة إلى ذكر نعم الله المتتالية وعطاياه المتوالية وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا } [إبراهيم:34]، وأن تقيد بالشكر للمنعم، فإن الشكر مؤذنٌ بالمزيد { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم:7] .

☐ والشكر حافظٌ للنعم الموجودة وجالبٌ للنعم المفقودة، فإنَّ النعمة إذا سُكِرَتْ قَرَّتْ، وإذا كُفِرَتْ قَرَّتْ؛ تقول عائشة رضي الله عنها "دخل عليَّ رسولُ الله - ﷺ - فرأى كِسْرَةً مُلْقَاةً فَمَشَى إِلَيْهَا فَأَخَذَهَا ثُمَّ مَسَحَهَا فَأَكَلَهَا ثُمَّ قَالَ لِي يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا قَلٌّ مَا نَفَرْتُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ" السلسلة الصحيحة ١١١ فوجب على كل مسلم أن يشكر الله على نعمائه وفضله وعطائه، ويسأله سبحانه أن يوزعه شكر نعمه وأن يعيده من تبديل النعمة كفرًا؛ فإن ذلك موجبٌ لحلول العقوبة وزوال النعمة وفجاءة النعمة وتحول العافية وجميع السخط.

☐ ولقد حذَّر الله جل وعلا في مواطن من كتابه من تبديل النعمة كفرًا، وعدم استعمالها في طاعة المنعم جل في علاه، وملاقاتها بالأشر والبطر، وجحود الإنعام والإكرام؛ قال الله تعالى: { وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [البقرة:211]، وقال الله سبحانه: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ } [إبراهيم:28-29]، وقال الله

سبحانه: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الرعد:11]؛ { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ } أي: من نعمة وفضل وإحسان { حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } أي: بالفسوق وكفران النعم والعصيان . وقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فآزرها ... فإن المعاصي تُزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النعم

وإياك والظلم مهما استطعت ... فظلم العباد شديد الوخم

☞ ولقد ذكر الله جل في علاه في كتابه العزيز أخبار أقوام أهلكتهم الله سبحانه بسبب كفران النعم، ليعتبر من أراد الاعتبار وليذكر من أراد الإدكار ، فإن السعيد من وعظ بغيره ، والشقي من اتعظ به غيره. يقول الله -ﷻ-: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلِكْ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } [القصص:58]، وقال الله سبحانه: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [النحل:112] أي بسبب صنيعهم السيئ وأعمالهم القبيحة وفعائلهم الشنيعة والأمثلة على هذا في القرآن كثيرة .

☞ فالواجب تحقيق تقوى الله، والحذر الشديد من كفران نعمة الله جل في علاه، وليعلم من كفر نعمة الله جل وعلا أنه إن لم يبادر إلى التوبة والإنابة إلى الله فلا مناص له من أحد أمرين: إما عقوبة معجلة تزول بها النعمة وتتحول فيها العافية وتحل النعمة،

أو أن يُمد له في الإنعام على وجه الاستدراج، {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} [المؤمنون: 55-56] .

☐ ولهذا فإنَّ من أنفع ما يكون في وعظ الناس وتذكيرهم وإيقاظ قلوبهم من غفلتها أن يذكروا بنعمة الله عليهم، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتضمن التذكير بهذا المقام العظيم والتنبيه على هذا المطلب الجسيم؛ ليكون العبد ذاكرًا غير غافل شاكراً غير كافر، قال الله -ﷻ- في سياق موعظة هود -عليه السلام- لقومه أنه قال لهم: {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف: 69]، وفي قصة صالح -عليه السلام- وموعظته لقومه قال لهم: {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الأعراف: 74]، وقال الله -ﷻ-: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: 20]، وقال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [إبراهيم: 6] ...

☐ وفي خطاب القرآن لأمة محمد عليه الصلاة والسلام في آي كثيرة منه جاء هذا التذكير بذكر نعمة الله جل وعلا على العباد؛ قال الله -ﷻ-: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103] ... والآيات في هذا المعنى في كتاب الله جل وعلا كثيرة.

وفي ذكر العبد لنعمة الله عليه فوائد عظيمة ومنافع متعددة:

■ من أعظمها: أن العبد إذا كان ذاكرًا نعمة الله عليه وفضله ومثته جل في علاه أخلص دينه لله؛ فلم يلجأ إلا إلى الله، ولم يستعين إلا بالله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يصرف شيئًا من ذلّه وخضوعه إلا لله، لأنه وحده جل في علاه المتفضل المنعم لا شريك له، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفِكُونَ } [فاطر:3] .

■ ومنها: أن في ذلك معونة له على إسلام وجهه لله وانقياده لله خاضعًا مطيعًا متذللًا محبتًا منيبًا ، ولهذا في سورة النحل -التي تُعرف بـ«سورة النعم» لكثرة ما عدّد فيها جل في علاه من نعمه على العباد- قال الله -ﷻ- في تمام عده لنعمة: { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } [النحل:81] ؛ أي تنقادون لله خاضعين ذليلين.

■ وفي ذكر نعم الله على العبد معونة للعبد على شكر المنعم والمتفضل سبحانه؛ فإن العبد إذا استشعر أن هذه النعم من الله جل وعلا واستذكر ذلك أعانه ذلك على شكر المنعم والمتفضل سبحانه، قال الله تعالى: { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة:6] .

■ ومن فوائد ذكر النعم: طردُ الغرور والعُجب ؛ فإن العبد إذا ذكر أن ما عنده من صحةٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو غير ذلك محضُ فضل الله عليه ومثته جل في علاه باعد عنه الغرور والعُجب، ولهذا قال الله -ﷻ-: { وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } [الكهف:39] .

■ إن الواجب على العبد أن يكون دائماً وأبداً ذاكراً نعمة الله عليه ، مستعملاً لها فيما يرضيه جل في علاه، وأن يحذر أشد الحذر من أن يبدل نعمة الله كفراً، فإن عذاب الله شديد وعقوبته أليمة، قال تعالى: {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}؛ فأخبر تعالى أنه لا يغير نعمه التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غيّر غيّر عليه جزاءً وفاقاً، وكان تغييره موجّباً لزوال النعم وفجاءة النقم وتحول العافية وجميع السخط. وأما إن غيّر المعصية بالطاعة غيّر الله عليه العقوبة بالعافية، والذلّ بالعز.

● نعوذ بالله من زوال النعمة:

☞ النعمة قد تكون ديناً، أو صحة، أو مالاً، أو أهلاً، أو طمأنينة قلب.

والزوال قد يكون بسلبها أو بسلب بركتها.

☐ فيه تربية للنفس على: شكر النعم قبل فقدها، عدم الاغترار بالاستقرار، دوام الافتقار إلى الله.

☼ كم من نعمة نعيش فيها حتى نعتادها، فإذا فقدناها عرفنا قدرها.

● نعوذ بالله من تحوّل العافية:

☞ العافية ليست فقط السلامة من المرض، بل تشمل: عافية البدن، عافية الدين،

عافية النفس، عافية الحال

كهوالتحول أخطر من الزوال؛ لأنه انتقال من حال السلامة إلى حال البلاء.

فالعبد يسأل الله الثبات قبل أن يسأله الزيادة.

● نعوذ بالله من فجاءة النعمة:

"الفجاءة" تعني أن تأتي العقوبة بغتة دون تمهيد <sup>﴿</sup> وهذا يُشعر العبد بخطورة الذنوب الخفية والغفلة الطويلة.

﴿المؤمن يخاف من: الإمهال مع الإصرار، الأمان من مكر الله، الغفلة عن التوبة

فيعيش بين الرجاء والخوف.

● نعوذ بالله من جميع سخطك

هذا تعميم بعد تخصيص؛ كأن الداعي يقول: أعوذ بك من كل ما يُغضبك ظاهراً وباطناً.

وهو غاية الأدب مع الله: ليس فقط النجاة من العقوبة، بل النجاة من سببها.

وأسأل الله -جَلَّالاً- أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا

إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.